الفصل الأول

الهجوم على المراكز الحساسة فى الولايات المتحدة

الغارة الرياعية صباح يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م

الخطوط الجوية الأمريكية الرحلة رقم ١١

مركز التجارة العالمى: البرج الشمالى

كاد القلب أن يتوقف عن الخفقان عند مشاهدة صورة طائرة ركاب عملاقة على شاشات التليفزيون، موجهة بدقة نحو البرج الشمالى لمركز التجارة العالمى، حيث أقلعت طائرة البوينج ٧٦٧ التابعة للخطوط الجوية الأمريكية التى كان على متنها ٩٢ راكبًا فى الساعة الثامنة بالتوقيت المحلى لمدينة «بوسطن ـ **Boston**» فى رحلتها إلى لوس أنجلوس، وفى الساعة ٤٦ : ٨ دقيقة اصطدمت بانحراف قليل لليسار بالأدوار من ٩٤ وحتى ٩٨ من البرج .

بسرعة الريح تجمع المجتمع الدولى حول أجهزة التليفزيون والراديو وتوقف العمل، وشهد الناس - بانكسار - واحدة من أكبر جرائم العصر الحديث، حيث أصيب رمز مركز المال الأمريكى فى «مانهاتن ـ **Manhattan**» واشتعل، وأسرعت قوات المطافئ إلى مكان الحادث، وفى أقصى درجات اليأس قفز الناس من النوافذ نحو موت أكيد .

الخطوط الجوية المتحدة: الرحلة رقم ١٧٥

مركز التجارة العالمى: البرج الجنوبى

وفى إثر صور الهجمة الأولى، استطاع مليارات من البشر بعد مرور ١٧ دقيقة تقريبا أن يتابعوا تحليق طائرة ركاب عملاقة نحو مبنى مركز التجارة العالمى، كانت الطائرة من طراز بوينج ٧٦٧ تابعة للخطوط الجوية المتحدة الرحلة رقم ١٧٥، أقلعت بدورها حوالى الساعة ١٤ : ٨ دقيقة من بوسطن إلى لوس أنجلوس، وفى التاسعة وثلاث دقائق اصطدمت بالأدوار: من الدور رقم ٧٨ وحتى الدور ٨٤ فى البرج الجنوبى من البرجين التوأم.

الخطوط الجوية الأمريكية: الرحلة رقم ٧٧

الجناح الجنوبى الغربى من البنتاجون

بعد مرور أقل من ٤٠ دقيقة، طبقًا لعرض وسائل الإعلام للأحداث، دوى انفجار آخر لطائرة عملاقة من طراز بوينج ٧٥٧ تابعة للخطوط الجوية الأمريكية فى رحلتها رقم ٧٧ حاملة على متنها ٦٤ شخصًا ومصطدمة بالواجهة الخارجية الرأسية للبنتاجون، مبنى وزارة الدفاع الأمريكية الضخم ذى الطوابق الخمسة.

كانت هذه الطائرة قد أقلعت فى تمام الثامنة وعشرين دقيقة من مطار «دالاس ـ Dulles» الواقع على بعد حوالى ٤٠ كيلومترًا غربى واشنطن فى رحلتها إلى لوس أنجلوس. دارت الطائرة فوق «أوهايو ـ Ohio» وأخذت أولاً مسارًا فوق البيت الأبيض مقر الرئيس الأمريكى، وقبيل الوصول للهدف، قامت الطائرة بالدوران ٢٧٠ درجة وانخفضت فى ثمانى دقائق من ارتفاع ١٠٠٠٠ متر إلى مستوى سطح الأرض، وعلى أقل ارتفاع ممكن للطيران، لتصطدم بواجهة البنتاجون التى تم تقويتها مؤخرًا ضد الهجمات الإرهابية، كان ذلك فى الساعة ٤٠ : ٩ أى بعد مرور أقل من ساعة على الهجمة الأولى فى نيويورك[٣]، وارتفعت هنا أيضًا ألسنة لهب عملاقة ودخان، وانتشرت قوات الإطفاء والشرطة والموظفون والمراسلون، وأصيب المارة بالذهول.

السقوط عند شانكسفيل Shanksville

ما إن كاد هذا الخبر ينتشر، إلا ووصلت إشارة عن سقوط طائرة فى «پنسلڤانيا ـ Pennsylvania»، وكانت طائرة بوينج ٧٥٧ تابعة للخطوط الجوية المتحدة فى رحلتها رقم ٩٣ التى أقلعت بعد تأخرها ٤٠ دقيقة من مطار« نيوارك ـ Newark» على مشارف نيويورك فى تمام الساعة ٤٢ : ٨ دقيقة بعد نزول اثنين من الركاب، وتحطمت كما جاء فى البيانات ما بين الساعة ٠٣ : ١٠ والساعة ١٠ : ١٠ دقائق عند شانكسفيل[٤] فى الجنوب الشرقى من بطرس بورج فى منطقة قديمة لاستخراج الفحم فى مقاطعة پنسلڤانيا[٥].

طبقًا للأخبار الأولية، قد أسقطت الطائرة عن طريق إطلاق نار أو أنها قد انفجرت فى الجو، جاءت بعد ذلك إشارات عن وجود صراع بطولى على متن الطائرة قام به الركاب مع الخاطفين، بعد ذلك بقليل ارتطمت الطائرة بالأرض.

بمرور اليوم

الحرائق فى البرجين

كان ارتطام طائرتى الركاب العملاقتين أولاً بالبرج الشمالى، وبعده بسبع عشرة دقيقة بالبرج الجنوبى، سببًا فى اندلاع نيران مروعة ودخان كثيف، وارتفعت فى الحال حول البرج الثانى كرة هائلة من النار، حين اشتعل الكيروسين الذى كان موجودًا فى خزان الطائرة المحطمة بأكسچين الهواء، ونتج عنه خليط شديد الانفجار.

فى البرج الشمالى كانت الطائرة قد اخترقت المبنى، ووزعت مخزون الوقود على مساحة واسعة لأربعة أو خمسة طوابق بمكاتبها الضخمة.

كان كل من برجى التجارة العالمى مبنيًا من هيكل من الصلب ارتفاعه حوالى ٤٠٠ مترًا، والهيكل مدعم بعوارض مغلفة بمواد مقاومة للحرائق. توجهت قوات مطافئ نيويورك إلى مكان الحادث، واقتحمت قوات البوليس والمطافئ طوابق المبنى

لإطفاء الحرائق وإنقاذ الناس، ويبدو أنهم كانوا مطمئنين لإمكانية نجاحهم فى عملهم.

إلا أنه حدث ما لا يمكن تصوره، فقد انهار أولاً البرج الجنوبى المنكوب المجاور للبرج الشمالى، وكان البرجان قد تم تأمينهما ـ فى التصميم الهندسى ـ ضد اصطدام الطائرات المدنية بهما، بل إنه تم تأمينهما ضد أعاصير الشتاء الأكثر خطورة، ولكنه حدث ما لا يمكن استيعابه، فقد تمايل البرج أولاً جانبًا ٢٢ درجة، ثم تهاوى بما تحته من طوابق، ونتج عن هذا الحدث الضخم سحابة ترابية هائلة، يظهر فيها على فترات أجزاء ثقيلة متطايرة من الحبال المعدنية.

تلاه البرج الشمالى بعد عشرين دقيقة، وانبعثت من الطوابق المصابة نيران قليلة، إلا أنه كان هناك دخان كثيف أسود، وسقط البرجان فى سلسلة من التفاعلات مثل تورتة مكونة من طبقات، وهى تلتهم المبنى طابقًا طابقًا، وتدفن تحتها البشر والأثاث.

فلسطينيون شامتون فى مشهد تليفزيونى

فى الدقائق الأولى، توجه مراسلو الإذاعة والتليفزيون إلى مكان الحادث لتغطيته، كان من الطبيعى أيضًا معرفة الصدى الذى خلفه الحادث فى كل دول العالم.

فى البداية لم يرد فى بيانات الحكومة ولا فى تقارير وسائل الإعلام أن تكون الطائرات الأربع قد تعرضت للاختطاف من قبل إرهابيين، الاتجاه الذى استطاع الخيال أن يطوره عن الخلفيات والملابسات هو ما صوره وبثه التليفزيون لسيدة فلسطينية شامتة تضحك وتتوسط أطفالاً يضحكون كذلك، عرضت الصور على أنها مرتبطة بالهجمات على البرجين، فعلى الشاشات يرى الإنسان مجموعة من البشر يتعرضون لموت مؤكد وهم يقفزون من البرج، بعد ذلك بقليل لقطات من فلسطين لبشر آخرين يضحكون شامتين، مراراً وتكراراً تقحم اللقطات فى كل تقرير يصدر، لتستقر فى أذهان المشاهدين، **ولم تمض سوى عدة أيام حتى تبين أن**

هذه الصور التقطت لأناس ليس لديهم أى فكرة عن الأحداث فى نيويورك، وإنما أهديت لهم قطع من الحلوى وسعدوا بها كثيرًا، وقد أبدت السيدة الفلسطينية التى عرضت لها صورة مكبرة وسط الأطفال ذهولها ودهشتها لما اتهمت به من الشماتة والعداء للأمريكيين .

أقوى الظن أن هذه اللقطات قد أعطيت لإدارات تحرير محطات التليفزيون ووكالات الأنباء عن طريق جهة مهتمة بالتأثير على الرأى العام وعلى الموقف المبدئى للجماهير[٦] . بعد ذلك بفترة طويلة تم تصحيح الانطباع الأول، وكالعادة فى كل الأحوال، لم يأخذ التصحيح مكان الصدارة فى وسائل الإعلام، وكانت وسائل الإعلام الألمانية كذلك تركز فى الصور التى تعرضها قبل الأخبار على صور البرجين المتهدمين مع لقطة للفلسطينيين الذين يحتفلون بهذا الحادث وهم سعداء .

احتراق وتهدم المبنى المجاور رقم ٧

على الأقل فى أوروبا لم يكن هناك كبير اهتمام لما حدث فى المبانى المجاورة، فقد امتدت ألسنة النار نتيجة للحرائق ونتيجة لتهدم برجى مبنى التجارة العالمى، ولم تكن هذه المبانى بنفس ارتفاع البرجين، ولكنها كانت تعتبر أيضًا من ناطحات السحاب، فامتدت النيران فى العاشرة والنصف صباحًا إلى المبنى رقم ٧ بعد تهدم البرج الشمالى، وانهار بدوره حوالى الخامسة وخمس وعشرين دقيقة مساءً، **أما المبانى أرقام ٤ و ٥ و ٦ فقد اشتعلت فيها النيران لساعات، وتحولت أجزاء منها إلى كتل من النار، ولكنها صمدت بهياكلها المصنوعة من الصلب أمام النار وأنقاض البرجين المجاورين المتهدمين، وذلك على العكس تمامًا من حالة المبنى رقم ٧ الذى انهار تمامًا مثل البرجين .**

الرئيس فى المدرسة الابتدائية

كان الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش قد أحيط علمًا باصطدام طائرة بالبرج الشمالى لمركز التجارة العالمى، وذلك لدى مغادرته للفندق فى فلوريدا قبيل زيارته لإحدى المدارس فى «ساراسوتا ـ **Sarasota**» [٧]، ومع ذلك أكمل برنامجه اليومى مع مساعديه المستمرين فى التواصل مع العالم الخارجى، وأخذ يستمع إلى قصص تلاميذ الفصل الأول الابتدائى، حتى إنه استمر فى ذلك لمدة ٢٥ دقيقة أخرى بعد أن جاءته الأخبار عن الهجوم الثانى على البرج الجنوبى .

أحيط الرئيس علمًا بأن الإرهابيين أعلنوا الحرب ـ بمنتهى الوضوح ـ على القوة العظمى الوحيدة الباقية، حيث تعرضت الولايات المتحدة للهجوم فى عقر دارها، وبالتالى لا بد من اتخاذ موقف، لكن يبدو أن كل ذلك لم يكن سببًا كافيًا كى يقطع الرئيس برنامج يومه، فكان دائمًا يعلن موقفه الأول وهو ما يزال فى فلوريدا بالإشارة إلى أن البلاد فى أغلب الظن قد فوجئت بالتعرض لهجمات إرهابية[٨].

فى تمام الساعة٥٧ : ٩ غادر الرئيس ولاية فلوريدا بطائرة عسكرية وليس بطائرته الخاصة، وفى الساعة الواحدة وأربع دقائق ظهراً أعلن من إحدى القواعد الجوية فى «لويزيانا ـ **Louisiana**» دعوته للصلاة من أجل القتلى والمصابين، كما أنه أخبر فى نفس الوقت بأنه سيطارد المجرمين الجبناء ويعاقبهم بلا رحمة، وتم نقل الرئيس بوش جوّا من لويزيانا إلى قاعدة جوية فى وسط المنطقة الغربية فى «نبراسكا ـ **Nebraska**»، حيث صعد على متن طائرته الخاصة ظهر ذلك اليوم بهدف العودة إلى واشنطن، **وقد علق البيت الأبيض مبدئيًا عن تنقل الرئيس الأمريكى فى طائرة عسكرية من قاعدة جوية إلى قاعدة جوية أخرى، بالإشارة إلى أن قوات الأمن قد تلقت مكالمات من مجهولين مفادها أن فى حوزة الإرهابيين معلومات سرية للغاية من بينها الكود السرى للرئيس وموقع طائرته الخاصة، لأجل ذلك لم يستطع الطيران بطائرته الخاصة، واضطر إلى تجنب الطيران المباشر إلى مقر الحكم فى واشنطن.**

أكَّد هذا الخبر الذى انتشر على نطاق واسع عدم ثقة الناس فى الولايات المتحدة، وبعد عدة أيام نفى البيت الأبيض خبر معرفة الإرهابيين للكود السرى[٩]، **ولم تكترث وسائل الإعلام بتصحيح الخطأ بشكل مناسب، فكان لا يذكر هذا التصحيح إلا فى الصفحات الأخيرة من الصحف.**

فى المساء تحدث بوش عبر محطات الإذاعة والتليفزيون إلى الشعب الأمريكى بالصيغة النهائية لرسالته، **وهى أن الحكومة لن تفرق بين الإرهابيين الذين نفذوا الحادث وبين من يأويهم، وتحدث بوش أمام الكونجرس عن إعلان حرب طويلة المدى، أصبحت الآن ضرورية، وطالب العالم أن يشارك فى هذه الحرب، ومن ليس معنا فهو مع الإرهابيين، وكانت هذه هى رسالته إلى العالم.**